

رسالة في الجُنُاح والجُنوح وَذمِ التَّفْرِقِ وَالْإِخْتِلَافِ

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله
(١٣٧٦ - ١٣٠٧)
رحمه الله

تقديم
فضيلة الشيخ العلامة
عبد الله بن عبد العزير بن عقيل
رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً

تحقيق
عبد الله بن زيد بن خسرو

لaboratory
of the Tawhid Library

دار التوحيد ١٤٢٨ هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السعدي ، عبدالرحمن بن ناصر

رسالة في الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق . /

عبدالرحمن بن ناصر السعدي ؛ عبدالله زيد آل مسلم . - الرياض ، ١٤٢٨ هـ .

٤٨ ص ، ١٤٠٥ × ٢١،٥ سـ

ردمك : ٦ - ٨١٨ - ٩٩٦٠ - ٥٨ - ٩٧٨

١ - الثاقفة الإسلامية

أ . آل مسلم ، عبدالله زيد (محقق)

ب . العنوان

١٤٢٨/٧٥٧٨

ديوي ٢٥١

رقم الإيداع : ١٤٢٨/٧٥٧٨

ردمك : ٦ - ٨١٨ - ٩٩٦٠ - ٥٨ - ٩٧٨

خُصُّقُ الْطَّبِيعَةِ بِحَقْوَنَةِ

الطبعة الأولى

٢٠٠٨ - ١٤٢٩ م



المملكة العربية السعودية - الرياض ، ص . ب ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣

هاتف ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ - ناسوخ ٤٠٤ ١٤٢٨٠٤٠٤

E-mail: dar.attawheed.pub.sa@gmail.com البريد الإلكتروني :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عبدالله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل

التاريخ ٢٠١٣/٦/٢

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم ، أما بعد :

فلا تزال قوادش شيخنا العلامة عبد الرحمن بن تاصر السعدي رحمة الله تتجدد حتى بعد وفاته ، وذلك مما يخرج بين الفينة والأخرى من رسائله وكتبه المحتوية على القواعد الثمينة والنصائح السديدة ، وكان رحمة الله نعم المعلم الناصح والمربى الصالح .

وها هو في هذه الرسالة ، الممتدة الصغيرة في محتواها ، الغزيرة في معناها ، يوجه النصيحة لعلماء المسلمين وعوامهم أن تتفق كلمتهم ، وتحتاج قلوبهم ، معتصمين بحبل الله جميعا ، ومحذرا لهم من الفرقـة والاختلاف المؤدي إلى التشاحن والقطيعة والبغضاء .

وقد بين رحمة الله مكانة العلماء العاملين في الأمة الإسلامية ووحدة المسلمين لهم وماذا يجب على الناس تجاههم من الحبة والتقدير ومعرفة حقهم وتتزيلهم المنزلة اللائقة بهم ، ولم ينس رحمة الله توجيه النصـح لطلبـ العلم وتحذيرـهم من الأخـلاق الرديـنة والصـفات الـذـمـيمـة وغـيرـ ذـلـك من القـوـاـدـشـ المـشـورةـ فيـ ثـيـاـ هـذـهـ الرـسـالـةـ .

وقد اعنى فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد بن مسلم آل مسلم بهذه الرسالة مقابلة وتحقيقـا مع ضمـ حـواشـيـ مـفـيـدـةـ ضـمـنـهاـ كـلـامـ الـمـؤـلـفـ ، استـخلـصـهـ منـ كـتـبـ لهـ أـخـرـ يـتـلـقـ بـمـوـضـوـعـهـاـ، فـجـزـاءـ اللهـ خـيـرـاـ عـلـىـ عـنـيـاتـهـ بـهـذـهـ الرـسـالـةـ .

وإـنـيـ أـوصـيـ إـخـوـانـيـ وـأـبـانـيـ الطـلـابـ وـعـمـومـ الـمـسـلـمـينـ بـقـرـاءـةـ هـذـهـ الرـسـالـةـ وـالـاسـتـفـادـةـ مـاـ تـضـمـنـهـ مـنـ تـلـكـ النـصـائحـ وـالـتـوـجـيهـاتـ . دـاعـيـاـ اللـهـ تـعـالـىـ أـنـ يـنـفعـ بـهـاـ مـنـ كـتـبـهاـ اوـ قـرـأـهـ اوـ سـمـعـهـ اوـ اـسـتـفـادـهـ مـنـهـاـ . وـكـتـبـهـ الـفـقـيرـ إـلـيـ اللـهـ

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى

سارقا _ حامدا الله مصلحا مسلما على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أحمسن عـلـيـهـ



تقدير

فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن عبدالعزيز بن عقيل

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله

على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلّم، أما بعد:

فلا تزال فوائد شيخنا العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله تتجدد حتى بعد وفاته، وذلك مما يخرج بين الفينة والأخرى

من رسائله وكتبه المحتوية على الفوائد الثمينة والنصائح السديدة،

وكان رحمة الله نعم المعلم الناصح والمربi الصالح.

وها هو في هذه الرسالة، الممتدة الصغيرة في محتواها، الغزيرة

في معناها، يوجّه النصيحة لعلماء المسلمين وعوامهم أن تتفق

كلماتهم، وتجمّع قلوبهم، معتصمين بحبل الله جيئاً، ومحذراً لهم من

الفرقـة والاختلاف المؤدي إلى التشاحن والقطيعة والبغضاء.

وقد يبيّن رحمة الله مكانة العلماء العاملين في الأمة الإسلامية

وحاجة المسلمين لهم وماذا يجب على الناس تجاههم من المحبة

والتقدير ومعرفة حقهم وتنزيتهم المزللة اللائقة بهم، ولم ينس رحمة

الله توجيه النصح لطلاب العلم وتحذيرهم من الأخلاق الرديئة والصفات الذميمة وغير ذلك من الفوائد المنشورة في ثنايا هذه الرسالة.

وقد اعنى فضيلة الشيخ عبدالله بن زيد بن مسلم آل مسلم بهذه الرسالة مقابلة وتحقيقاً مع ضم حواشى مفيدة ضمنها كلاماً للمؤلف، استخلصه من كتب له أخرى يتعلّق بموضوعها، فجزاه الله خيراً على عنايته بهذه الرسالة.

وإني أوصي إخواني وأبنائي الطلاب وعموم المسلمين بقراءة هذه الرسالة والاستفادة مما تضمنته من تلك النصائح والتوجيهات داعياً الله تعالى أن ينفع بها من كتبها أو قرأها أو سمعها أو استفاد منها، وكتبه الفقير إلى الله عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً حامداً لله مصلياً مسلماً على عبده ورسوله محمد وآلـه وصحبه أجمعين.

المقدمة

إن الحمد لله نحمدك ونستعينك ونستغفرك وننحوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدى الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:

فهذه درة نفيسة ورسالة فريدة^(١) سطرتها يراع الشیخ الفقیہ المفسر عبدالرحمن بن ناصر السعید رحمه الله تعالى موجّهاً النصيحة فيها لعموم الأمة وحاجاتها على اجتماع كلمتها ومحذرًا لها من التفرق والاختلاف المؤدي إلى التشاحن والبغضاء.

والأمة الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى ائتلافها واجتماع شملها ورأب صدعها مبتعدة كل البعد عن الحزبيات والتراشق

(١) أمنني بصورة منها فضیلۃ الشیخ عبداللطیف بن عبدالله الدوسري جزء الله خیراً وشكراً سعيه وغفر الله له ولوالديه.

بالكلمات واتهام النبات ما دام أن الجميع تحت مظلة أهل السنة والجماعة يقفون أثر سلف الأمة أهل القرون المفضلة، يتبعون ولا يتبدعون.

وأحسب أن الشيخ عبد الرحمن رحمه الله وهو المتوفى عام ١٣٧٦هـ قد وضع النقاط على الحروف في هذه الرسالة، فرحمه الله رحمة واسعة وأجزل له الأجر والثوابة، فقمت بالاعتناء بها ونشرها ليعم نفعها بتوفيق من الله عز وجل^(١).

والله أسأل الإخلاص في القول والعمل والتوفيق والسداد.
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتب

عبد الله بن زيد بن مسلم آل مسلم

١/ جمادى الأولى / ١٤٢٨هـ

الرسانف

(١) قلت: قد قرأت هذه الرسالة على فضيلة شيخنا العلامة عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل حفظه الله ورعاه بعد مغرب يوم الجمعة الموافق ٢٨/٦/١٤٢٨هـ بحضور فضيلة شيخنا الدكتور علي بن إبراهيم القصيري حفظه الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وبِإِسْمِهِ تَوَكِّلُ
 لَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالصَّحِيفَةُ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ اللَّهَ
 خَلَقَ خَلْقَهُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَوْجَدَهُمْ بِعِدَانِ لَمْ يَكُونُ شَيْئاً مِنْ كُلِّ الْعَيْدِ وَهُوَ حَدَّ
 لَأَسْرِيَّهُ وَيُطْبِعُهُ وَيَسْقُوْهُ وَيَسْرِيَّهُ وَيَسْرِيَّهُ وَيَسْرِيَّهُ وَيَسْرِيَّهُ
 الْلَّازِمَةُ وَالْمُسْتَحِمَةُ الَّتِي شَرَعَهَا لِكَاهِرٍ وَعَلَيْهِ سَرَعَهُ الْمُهْكِمُ وَهُوَ شَعْبُ كُلِّ
 وَاقِمٍ قَنْبَانَ مَا هُوَ أَصْوَرٌ وَمِنْهَا مَا هُوَ أَهْرَافٌ وَإِنَّمَا هُوَ تَوَادِعٌ كُلِّهُ تَسْرِيَّهُ
 كُلُّهُ مِنَ الْحَكَمِ إِيجَارِيَّهُ وَمِنْهَا تَفَاصِيلُ الْمُعْتَدِلِ وَمِنْهَا مَا هُوَ مِنَ الْمُنْكَرِ
 وَكُلُّهَا تَرْجِعُ لِالْتَّحْصِيلِ الْمُصَاحِّ وَتَكْمِيلِهِ وَتَعْطِيرِ الْمُغَادِرِ وَتَعْلِيلِهِ فَإِنَّ أَعْظَمَ
 الْأَوْافِ الْأَلَهِيَّةِ عَالِيَّةُ الْمَسَارِيِّ وَالْمَهَايَا النَّبِيُّ مَعْلُومٌ بِمُحَمَّدٍ
 وَأَنْتَاقَ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِ وَاجْتِمَاعِهِ وَاسْتِلْانِهِمْ عَلَيْهِ عَلَيْهِ أَنْتَاقَ مُهَاجِرَيِّهِ مِنَ الْأَكَالِ
 وَالْأَعْوَالِ وَالْمُتَاقَاتِ عَلَيْهِ أَنْتَاقَ قَرْبَانِهِ وَالْمُنْقِعِ عَنِ الْفَرقَ وَالْأَخْتِلَافِ
 وَتَسْبِيَّتِ عَلَيْهِ الْمُلْكِيَّهُ الْمُلْكِيَّهُ حِجَّتِ الْمُصَاحِّ الْمُحِسِّنِ الْقَدَرِ وَالْمُحَكَمِ
 وَقَدْ يَدْعُ عَلَيْهِ أَصْبَلَ الْمُفْطِنِيَّهُ لَهُنَّا - بِرَأْسِنِهِ وَاجْمَاعِ الْأَيْمَنِيَّهُ وَالْأَمْلَائِيَّهُ وَالْأَيْمَنِ
 الْيَمِينِ الْدَّرِيجِ قَارِسَهُ أَفْرَعَاهُ بِالْمُسْكَنِ بِعِيلِ الْذَّيْهُ الْهُدُودِيَّهُ وَالْأَخْلَاعِ عَلَيْهِ
 نَاهِيَّهُ لَهُمْ عَنِ النَّزَقِ وَلَا أَخْتِلَافِ مُهْتَاجِعِهِ بَعْدَهُ بَعْقَفَتِهِ لَمْ يَنْدِنْ بِأَيِّهِ
 الَّذِيْنَ أَعْنَتُ الْعَفَسَ حَتَّى قَنَاهُهُ وَلَا عَدَتْهُنَّ إِلَّا وَأَنْتَمْ مُسْلِمُونْ وَأَعْتَصُمُ بِعِيلِهِ
 جِمْعًا حَلَالًا لَفَرْقًا وَلَا فَرْقًا لَهُمْ عَلَيْهِ أَذْكُرُكُمْ أَعْدَأُ وَنَاهِيَّهُمْ تَلَوْكُمْ بِأَضْعَافِهِمْ
 نَعْنَشُ لَهُنَّا الْأَيَّاهُ وَفَارَقَنَاهُنَّا عَنِ النَّتَارِيَّهُ وَلَا أَخْتِلَافُ بَحْرَهُ اللَّهُ سَبِيلُهُ
 وَدُوْمُ الْفَضْلِيَّ الْأَعْدَادِ الْمُلْتَنَارِيَّهُ فَنَفَسَلُهُمْ وَقَدْ هَبَتْ حُكْمُهُمْ وَفَارَقَهُنَّا عِبَادَهُ

مطرضه بغير ودن انه عمارتهم لفقيه تدریسها شرط صار له علامة فقرية على
ذلك بحيث لا يدرك بالمحاورة من صغره وكثير يدرك تراكم تعليم القول على الملا
جائز حاله ثم يظفر به عكس ما جزم به فيه بيه عن خلو الاكابر بارفعه
الوصى الى الحق والتصديق للحق وصدق حاله توصل العبد الى هنا الحق الذي
لا يدرك الا اذا خط عظيم ومنه ان العلم اذا ادركه بالتعليم على
هذا طلاقه احسن او غيرها من طلاق احسن صار سببا لاستمرارها
اما في ذهن قلم فهم وتربيتهم لا يرون ذلك على ماتردها عليه فيحصل لهم
اخبر بالایمه الا اسر وفهم انهم يعرفون بذلك ما اتيهم ~~نادي~~ يكتسبون بدور حاليهم
في التخصص وعوفة ما بات الناس فنما لهم الامر خصوصا من له الندى بهم
فما زد بحاجة بارفعه على اجر علم لهم لأن علم لا يتم الا بتنهيهم
فنمازهم واعطاهم كلها بمحقة ومنها ان ذلك هو وجها للثقة فقوله
لان من زيف هذه الحاله وفتى المصلحة لها من سد على نفسه لفقيه لفقيه
ويحمل على غاية احر عان من العيا والعلم والشوار وآخر العظام سبب
الحاله الذي يذكر ما يرى ويسعى للتعلم وعلم النتائج وعدم التضليل
التي هي اسس التعلم بلا سلطنة ولا اعلى ببال النفس وعدم الثقة بغيره
وغير ذلك فنفسه لا يقدر بقدر فتنها على اصحابه واصرحت على
رسالتهم الائمه وراجميهم على بيه عقلهم الفقير الى انه عبد الرحمن ناصر
ابن عميمه السعدي بغير اسهله ولها الدليل وتحقيقه السليم اللهم صل على بيه

ساعده
جا

صورة الصفحة الأخيرة من الرسالة

نص

الرسالة

المحقق



و به أستعين و عليه أتوكل
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآلہ
و صحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن الله تعالى خلق خلقه من العدم وأوجدهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً يعبدوه وحده لا شريك له ويطيعوه ويتقوه
ومدار ذكره ومرجعه على أداء حقوقه وحقوق عباده الازمة
والمستحبة التي شرعاها في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه
وسلم، وهي شعب كثيرة وأقسام، فمنها ما هو أصول، ومنها ما هو
أحكام، ومنها ما هو قواعد كُلية تدرج تحت كثير من الأحكام
الجزئية، ومنها مقاصد ومتطلبات ، ومنها ما هو موصل إليها، وكلها
ترجع إلى تحصيل المصالح وتكتملها وتعطيل المفاسد وتقليلها^(١).

(١) قال ابن القيم رحمه الله في (إعلام المؤمنين) (٣/٣) «... فإن الشريعة مبنية
وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها»

فمن أعظم الأوامر الإلهية والشائع السماوية والوصايا التبوية الاعتصام بحبل الله جهيعاً، واتفاق كلمة المسلمين واجتماعهم واتلافهم، واللحث على هذا بكل طريق موصل إليه من الأعمال والأقوال، والتعاون على ذلك قولاً وفعلاً، والنهي عن التفرق والاختلاف وتشتيت شمل المسلمين، والزجر عن جميع الطرق الموصلة إليه بحسب القدرة والإمكان ، وقد دل على هذا الأصل العظيم الكتاب والسنة وإجماع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم إلى يوم الدين ، قال تعالى أمراً عباده بالتمسك بحبله الذي هو دينه والاجتماع عليه ناهياً لهم عن التفرق والاختلاف ممتناً على عباده بتوفيقه لهم لذلك: ﴿إِنَّمَا يَنْهَا اللَّهُنَّا أَمْنَوْا أَنْقَلُوا اللَّهَ حَقَّ نَقْلِهِ وَلَا يَمْنُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٢) وَأَنْتَمْ هُمُّا يَحْمِلُ اللَّهُ جَمِيعًا وَلَا يَقْرَئُونَ وَإِذْ كُنُوكُمْ إِذْ كُنُوكُمْ أَعْدَاءٌ فَاللَّهُ أَعْلَمُ

= ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها. فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها».

بَنِ فُلُوْبِكُمْ فَاصْبِحُّمْ بِنَعْمَتِهِ إِخْوَنًا ﴿١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٣ - ١٠٤] الآية، وقال تعالى ناهيًا عن التزارع والاختلاف تخبرًا أنه سبب للفشل وعدم النصر على الأعداء: ﴿وَلَا شَرَّاعُوا فَنَفَّثُلُوا وَنَدَهُ بِرَحْكَ﴾ [الأنفال: ٤٦] وقال مذكراً عباده بنعمته التي لا يقدر عليها إلا العزيز الحكيم: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَنْ يَكُنَّ لَّهُ أَلَّفٌ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] الآية، وقال ذاتاً المنافقين بتبغضهم وتفرق قلوبهم، ولو اجتمعوا أجسامهم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَنِّ﴾ [الحشر: ١٤]، وقال جل جلاله متناعلي رسوله بلينه للمخالفين الداعي لتآلِيقهم واجتماعهم وعدم تفرقهم ﴿فِيمَا رَحِمْتَ مِنَ الْأَهْلَةِ لَنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظَاعِلِيْطَ الْقَلْبِ لَأَنْفَصُوْمَنْ حَوْلَكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] الآية، ووصف الله المؤمنين بأنهم ﴿رُحْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ووصف رسوله بأنه ﴿رَءُوفٌ وَرَّحِيمٌ﴾ [التوبه: ١٢٨]، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَأُّهُمْ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا يَعَاوَنُوا عَلَىِ الْإِثْمِ وَالْعَدْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ومن أعظم البر السعي في جمع كلمة المسلمين واتفاقهم بكل طريق، كما أن السعي في تفريق كلمة المسلمين من أعظم التعاون على الإثم والعدوان.

وقد قص الله علينا في كتابه سيرة الرسل الذين بعثهم لتبلغ رسالته وذكر نصحهم لأعمهم وحرصهم على اجتماعهم على الإسلام ونفيهم (عن)^(١) التفرق والاختلاف مما هو كثير في القرآن، وكذلك النبي ﷺ قد أبدى في هذا الأصل وأعاد، وأمر بجتماع العباد وهي عن التفرق المفضي إلى الفساد، فقال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «لَا تحسدوا و لَا تناجشو و لَا تبغضوا و لَا تدابروا و كونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه»^(٢) وفي صحيح مسلم عن عميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الدين النصيحة» قلنا: ملن يا رسول الله: «قال: الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٣).

ومن أعظم النصيحة للMuslimين السعي في تأليف قلوبهم

(١) في الأصل (وعن).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٤٨) ومسلم (٤٦٥٠) واللفظ له .

(٣) أخرجه مسلم (٨٢).

(٤) قال ابن الصلاح في النصيحة: «إنها كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح

له بوجه الخير إرادة وفعلاً» انظر: جامع العلوم والحكم (١/٢٢٢).

واجتباهم ونبههم عن التفرق، وقال ﷺ في الحديث المتفق عليه
لأنصار منها هم بنوة الله عليهم بهدايتهم واجتباهم وغناهم
بسبيه: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهذاكم الله بي متفرقين
فجمعكم الله بي عالة فأغنواكم الله بي»^(١) كلما قال شيئاً قالوا الله
ورسوله أمنُّ، وقال النبي ﷺ مخذراً لأصحابه عن تبليغه الكلام المغري
للقلوب: «لا يبلغني أحدٌ عن أحدٍ شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم
وأنا سليم الصدر»^(٢)، وقال لما شاوره بعض أصحابه في قتل بعض
المافقين: «لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه»^(٣) أي لما فيه من
التغير عن الإسلام لمن لم يسلم، فتركهم وهم مستحقون للقتل
تأليفاً. وكان ﷺ يوصي من يبعثه للدعابة لدين الإسلام وتعليم
الشرع فيقول: «بِشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا وَبِسِرُوا وَلَا تُعْسِرُوا وَلَا
تُنْطَلِعُوا»^(٤)

(١) آخر جه البخاري (٣٩٨٥) ومسلم (١٧٥٨).

(٢) آخر حة أحمد (٣٥٧١) وأبو داود (٤٢١٨) والترمذى (٣٨٣١).

(٣) آخر حة الخوارج (٤٦٨٢) ومسلم (١٧٦١) (٤٥٢٥) (٣٢٥٧).

(٤) آخر حة مسلم (٣٢٦٢) وابو داود (١٩٥) بدون زيادة «وطاعرا ولا تختلفوا»

وقال: «وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفُ قُلُوبُكُمْ»^(١). فأبخر أن الاختلاف الظاهر سبب لاختلاف الباطن، وقال ﷺ: «إِنَّ أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كُثْرَةً مَسَائلَهُمْ وَالْخِتْلَافُ عَلَى أَبْيَائِهِمْ»^(٢)، وكل هذه الأحاديث في الصحيح، وتواتر عنه ﷺ النهي عن الخروج على ولاة الأمور والسمع والطاعة لهم، وإن ظلموا وعصوا^(٣)، وما ذاك إلا لما

= وأخرجه أبُو حَمْد (١٨٨٦٨) باللفظ أعلاه.

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤) والترمذى (٢١١) والنسائي (٧٩٨) وأبوداود (٥٦٨) وابن ماجه (٩٦٦) وأبُو حَمْد (٤١٤٢).

(٢) آخرجه البخاري (٦٧٤٤) ومسلم (٤٣٤٨) وللهذه له.

(٣) أخرجه البخاري (٦٦١١) ومسلم (٣٤٢٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «اعْلَمُ الْمُرْءَ الْمُسْلِمَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيهَا أَحَبُّ وَكَرَهٍ، إِلَّا أَنْ يَؤْمِنْ بِمُعْصِيَةِ اللَّهِ إِذَا أُمِرَّ بِهَا، فَلَا سَمْعٌ وَلَا طَاعَةٌ».

وأخرجه البخاري (٦٦٠٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «اسمعوا واطيعوا وإن أستعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة».

وأخرجه البخاري (٦٥٣٠) ومسلم (٣٤٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شيراً، مات ميتة جاهلية».

في الخروج عليهم من الشر العظيم.

وقد أمر الله ورسوله باجتماع المسلمين في كثير من العبادات كالحج والأعياد وال الجمعة والجماعة لما في اجتماعهم من التوادد والتواصل وعدم التقاطع، ونهى الله ورسوله عن الغيبة والنميمة والسباحة والتقاطع والخيانة والحسد والحقد ونحوهما فيها من القساد وتشتت العباد ، وأمر بالإصلاح بين الناس بكل طريق حتى أنه أباح الكذب المتوصل به للإصلاح لما فيه من الصلاح^(١).

وبالجملة فمن تأمل سيرة الرسول ﷺ في معاملاته للخلق مسلمهم وكافرهم قربهم وبعيدهم من لين الجانب والسماحة التامة والخلق العظيم بالغفو عن أهل الجرائم^(٢) وتأليف الخلق للدخول في

= واترجم مسلم (٣٤٣٣) عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم».

(١) آخر الترمذى (١٨٦١) وأبو داود (٤٢٧٤) وأحمد (٢٦٠١٠) عن أم كلثوم

بنت عقبة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس بالكاذب من أصلح بين

الناس فقال خيراً أو نهى خيراً» والتفتيت للترمذى قال رحمه الله: حسن صحيح.

(٢) مثال ذلك عفوه ﷺ عن أهل مكة عام الفتح قوله ﷺ: «إذهبوا فأنتم

دين الإسلام وإعطاء المؤلفة قلوبهم ليسلموا ويقوى إيمانهم^(١) وتركه كلما فيه تنفير حتى أنه يترك الأفضل الأكمل ويفعل ما دونه مراعاة لقلوب الخلق، وقد كان هم في بناء الكعبة على قواعد إبراهيم فقال لعائشة: «لولا أن قومك حدثوا عهد بجاهلية لنقضت الكعبة وجعلتها على قواعد إبراهيم»^(٢).

=الطلقاء= انظر: البداية والنهاية (٤/٦٩٦) ط. دار المعرفة، قال ابن القيم رحمة الله في زاد المعاد (٣/٤٩٧): «رسول الله ﷺ أحرض شيء على تأليف الناس، وأترك شيء لما ينفعهم عن الدخول في طاعته، وهذا أمر كان يختص به حال حياته ﷺ وكذلك ترك قتل من طعن عليه في حكمه بقوله في قصة الزبير وخصمه: «أن كان ابن عمتك» أ.هـ.

قلت: قصة الزبير وخصمه أخرجه البخاري (٤٥٨٥) ومسلم (٢٣٥٧).

(١) أخرج البخاري (٤٣٣٠) ومسلم (١٠٦١) في إعطاء النبي ﷺ المؤلفة قلوبهم.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٨٣) ومسلم (٢٣٦٩).

(٣) قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٤٠٧/٢٢): «ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات، لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا - الكلام على المحو بالبسملة أو بسريرها - كما ترك النبي ﷺ تغيير بناء البيت، لما في إيقائه من تأليف القلوب».

فمن تأمل هذا عرف أنه ﷺ بعث بالحقيقة السمححة^(١)، فإذا
علمت ذلك عرفت أنَّ من أهم قواعد الدين وأجل شرائع المسلمين
النصححة لكافحة الأمة والسعى في جمع كلمة المسلمين وحصول
التألف بينهم وإزالة ما بينهم من التباغض والتشاحن والإحن.
وأنَّ هذا الأصل من أعظم معرفة يؤمن به، وإصاعته^(٢) من
أعظم منكر ينهي عنه، وأنَّ هذا من فروض الأعيان الازمة لكل
الأمة على إيمانها ولاتها وعوامها؛ بل هي قاعدة لا يتم الإيمان إلا بها
فتجب مراعاتها علمًا وعملاً، وإنما كان الأمر كذلك لما في ذلك من
المصالح الدينية والدنيوية التي لا يمكن حصرها وفي إصاعته من
المضار الدينية والدنوية ما لا يمكن عدها فلذلك عقدت لهذا
فصلين.

* * *

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢١٢٦٠) عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ:
«ولكني بعثت بالحقيقة السمححة»، وأخرجه أحمد (٢٣٧١٠) عن عائشة رضي
الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني أرسلت بحقيقة سمححة».

(٢) في الأصل (وتركه) وجاء في المأمور (وإصاعته صحيحة).

فصل

في بعض مفاسد الاختلاف والتنازع

والتباغض والتهاجر ومضارها.

لا يستريب عاقل أن الله تبارك وتعالى لم ينهنَا عن أمر من الأمور إلا وفيه من المفاسد العامة والخاصة ما أوجبته حكمته ورحمته.

فأول مضار التباخر والتباغض والاختلاف إصابة هذا الأصل العظيم ومعصيته الله ورسوله الموجب للعقاب وحرمان الثواب ونقصان الإيمان وحصول الحسرة والخسران وإهمال ما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ومنها ما يترتب عليها من الاقتتال والاختصاص والموالاة والمعاداة التي تجعل المسلمين فرقاً كل فريق يريد نصرة قوله بحق أو باطل؛ فيحصل بذلك من ارتكاب الخطأ والضلال والهوى من المفاسد العامة والخاصة ما لا يعلمه إلا الله، ويترتب على ذلك ترك الحق الذي مع المنازع نصرة للهوى وبعضاً للشخص الذي جاء به فيوجب له بعض ما معه من الحق ويحصل بسبب ذلك من الغيبة

والتلميحة والسعيدة ما هو من أكبر المعاصي، ويتحير مريد الهدى
حسنُ القصد إذا كان قليل البصيرة فلا يهتدي لسبيله، ولا يدرى أى
الطائفتين يتبعه في قوله.

ويجد سبيء القصد المتبع لهواه مجالاً يجول فيه بأعراض العلماء
والصالحين وولاة أمور المسلمين، فيتسبّب بقوله لطائفه ويتلبّس
بلباسها على قلب منافق مكّار مخادع، فيتوصل بذلك إلى مقاصده
الخبيثة وينذر في قلوب من انتسب إليهم ما يقدر عليه من البذور التي
تنجح الخزي والفضيحة، وليس الأسف على هلاك منْ هذا شأنه
وهذا غاية قصده، فإنه بسبيل من هلك، وإنما الأسف كل الأسف لمن
يلقى إليه سمعه ويمكّنه من قلبه ولبه، ويصغي إليه ظانًا تصحّه وهو
في الحقيقة أكبر عدوٍ غاش. هذا بعض ما أنتجه الاختلاف.
ومنها أنه يستدرج بالفترقين إلى المباعدة والهجرة حتى لا
يتعلّم بعضهم من بعض ولا يتصحّ بعضهم ببعض، فيضيع من
المصالح التي هم بقصدها لو كانوا مجتمعين ما هو من أهم الواجبات
وأكبر القربات وأجل الطاعات إلى غير ذلك من طمع أعدائهم بهم
لتفرق كلمتهم وتشتت أمرهم.

فصل

في فوائد اتفاق المسلمين وتحابهم والسعى في ذلك
وهذا هو المطلوب المقصود الذي جرى الكلام لأجله، وهو
المقصد الذي فيه يرحب المصلحون وإليه شمر المشمرون، وبه تنافس
التنافسون، ولثلثه فليعمل العاملون لما اشتمل عليه من المصالح
العظيمة والمهام الجسيمة.

وبالجملة فجميع المفاسد التي ذكرت، والتي لم تذكر في مفاسد
التهاجر والتباغض والتدابر بهذا الأمر تزول، وتصل بصاحبها إلى
كل خير وتوأول، فيه تحصل الخيرات وتنزل البركات وتستجاب
الدعوات وتبدل السيئات بالحسنات.

وباتفاق كلمة المسلمين يجتمع شمل الدين، ويحصل لهم بذلك
في الأرض العز والتمكين، وبه يزيد الإسلام والإيمان؛ لأن الإيمان
عند أهل السنة والجماعة قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.
والسعى في هذا من أكبر الطاعات فيزيد به الإيمان درجات وبالنالف
والاجتماع يحصل التعاون على جميع خصال البر والتقوى والخير قال
تعالى: ﴿لَا أَخِرُّ فِي كَثِيرٍ مِّنْ تَبَوَّهُمْ إِلَّا مَنْ بِصَدَقَهُ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاجٍ
يَعْلَمُ أَنَّهُ أَنْتَ أَنْتَ﴾ [النساء: ١١٤]، وقال النبي ﷺ: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ

درجة الصيام والقيام والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة^(١)، وفي رواية: «لا أقول حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين»^(٢).

فأي درجة أعظم من هذه الدرجة التي زاد بها على أمهات الفضائل الصلاة والصيام والصدقة، وقال النبي ﷺ: «والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحيابوا أفالاً أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحيبتم أفسحوا السلام بينكم»^(٣).

فترتب دخول الجنة على وجود الإيمان، ورتب وجود الإيمان على حصول التحاب الذي هو سبب الاتلاف، ونبه على الدواء لهذا بإفشاء السلام، لأنَّ لِنَ الكلام الذي من أجله إفشاء السلام من أكبر الدواعي لذلك.

* * * *

(١) آخر جه الترمذى (٢٤٣٣) وأبو داود (٤٢٧٣) وأحمد (٢٦٢٣٦) ومالك (١٤٠٥).

(٢) آخر جه الترمذى (٢٤٣٤) وأحمد (١٣٣٨) (١٣٥٥).

(٣) آخر جه مسلم (٥٤)، وأبو داود (٥١٩٣) والترمذى (٢٦٨٨) وابن ماجه (٣٦٩٢) وأحمد (٩٠٧٣).

فصل

إذا عُلِمَ هذَا فَالوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عُمُومًا وَعَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ خصوصًا أَن يَسْعُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَيَتَحَمِّلُوا مِنْ أَجْلِهِ الْمَشَاقَ وَيَذَلُّوا جَهْدَهُمْ وَطَاقَتِهِمْ فِي حَصْوَلِ التَّوَادُّ وَعَدْمِ التَّقَاطُعِ وَالتَّهَاجِرِ وَيَرْجِعُوا غَيْرَهُمْ فِيهِ امْتِنَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَسُعْيًا فِي مَحْبُوبِهِ وَطَلْبًا لِلزَّلْفِي لِدِيهِ فَيُوْطِنُوا أَنفُسَهُمْ عَلَى مَا يَنْهَا مِنَ النَّاسِ مِنَ الْأَذِيَّةِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْفَعْلِيَّةِ مَعَ أَنْهَا سَتَنْقِبُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ رَاحَةً وَمَوَاصِلَةً دِينِيَّةً.

وَيَقْبَلُونَ الْمَسِيءَ إِلَيْهِمْ بِالْعَفْوِ عَنْهُ وَالصَّفْحِ وَسَلَامَةِ النَّفْسِ وَلَا يَعْمَلُوهُ بِمَا عَمِلُوهُمْ بِهِ؛ بَلْ إِذَا عَمِلُوهُمْ بِالْبَغْضِ عَامِلُوهُ بِالْمُحْبَّةِ وَإِنْ عَمِلُوهُمْ بِالْأَذِي عَامِلُوهُ بِالْإِحْسَانِ، وَإِنْ عَمِلُوهُمْ بِالْهَجْرِ وَتَرْكِ السَّلَامِ عَامِلُوهُ بِذَلِيلِ السَّلَامِ وَالْبَشَاشَةِ وَلِيْنِ الْكَلَامِ وَالدُّعَاءِ لَهُ بِظَهَرِ الْغَيْبِ، وَلَا يَطِيعُوا أَنفُسَهُمُ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ بِمَعْاْلِمَتِهِ مِنْ جَنْسِ مَا عَمِلُوهُمْ بِهِ فَلِيْسَ هَذَا حَالَةُ الْأَتْبَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ؛ بَلْ حَالُهُمُ الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ عَنْ أَهْلِ الْجَرَامِ كَمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ # عَنْ حَالِ النَّبِيِّ الَّذِي ضَرَبَهُ قَوْمٌ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ حَتَّى أَدْمَوْهُ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ

وجهه، ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(١).
هذا والله الفخر الكامل الذي يبني لصاحبه في الدنيا الثناء
الجميل، وفي الآخرة الثواب الجليل قال تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَكُمْ
شَكِّاً فَوْمٌ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدah: ٢٣]
ويبحث على مقابلة المساء بالعفو في قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ
خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] ، ﴿وَأَنْ تَعْفُواً أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾
[البقرة: ٢٣٧] ، ﴿فَمَنْ عَفَّ كَوَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] ، ﴿وَلَمَنْ
صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ عَزْمًا لِلْأُمُورِ﴾ [١٢] [الشورى: ٤٣].
إذا وفق المسلمون لهذه الحالة جمع الله شملهم وألف بين
قلوبهم وهذا هم سبل السلام وأخر جهنم من ظلمات الجهل والظلم
والضلال إلى نور العلم والعدل والإيمان.
ويحجب عليهم إذا رأوا صاحب هوى يريد أن يشق عصا
المسلمين ويفرق بينهم لنيل غرض من أغراضه الفاسدة أن يقمعوه
ويتصحّوه ولا يلتفتوا قوله، فإن من هذا حاله أكبر الأعداء.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٧).

وأن يحرضوا غاية الحرص على ستر عورات المسلمين وعدم تبعها؛ خصوصاً ما يصدر من رؤساء الدين والعلماء وطلبة العلم الذين لهم الحق الأكبر على جميع المسلمين بما قاموا به من علم الشرع وتعليمه، الذين لولاهم ما عرف الناس أمر دينهم ومعاملاتهم. فلولاهم لم يعرفوا كيف يصلون ويذكرون ويصومون ويحجون؛ بل لا يعرفون بيعون ويشترون؛ بل لولاهم لكان الناس كالبهائم لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكرًا ولا عرفوا حلالاً ولا حراماً فالواجب على المسلمين احترامهم وكفُّ الشر عنهم وقطع من يريدهم بأذى والتغاضي مما يصدر منهم بستره وعدم نشره لأن نشره فساد عريض.

واعلم أنَّ للخير والشر علامات يُعرف بها العبد.

فعلامة سعادة الإنسان أن تراه قاصداً للخير لكافحة المسلمين حريصاً على هدایتهم ونصيحتهم بما يقدر عليه من أنواع النصح مؤثراً لستر عوراتهم وعدم إشاعتھا قاصداً بذلك وجه الله والدار الآخرة. وعلامة شقاوة العبد أن تراه يسعى بين الناس بالغيبة والنفيمة ويتبعد عن عوراتهم ويتطلع على عوراتهم، فإذا سمع بشيء صدر منهم من

المكر و أشاعه وأذاعه؛ بل ربما نشر معه شرحاً من ابتداعه، فهذا العبد بشر المنازل عند الله مقيد عنده متعرض لمساخطه يوشك أن يفضحه في دنياه قبل أخراه إن لم يتدارك نفسه بالتوبيه النصوح وتبديل السينات بالحسنات.

فحقيق بمن لنفسه عنده قيمة أن يربأ بها عن هذه الخصلة الذميمة، ويتأمل معنى قوله ﷺ: «من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة»^(١)، وقوله ﷺ: «يا معاشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»^(٢).

هذا الوعيد الشديد في عموم المسلمين، وأما العلماء والصالحون فالوقوع بهم أقبح وأقبح، وهو علامة على معاداة الله ومحاربته لأنَّ الله قال على لسان رسوله ﷺ: «من عادى لي ولِيًا فقد

(١) آخر جمه مسلم (٢٦٩٩) والترمذى (٢٩٤٥) وابن ماجه (٢٢٥)، وأخرج البخارى (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيمة».

(٢) آخر جمه أبو داود (٤٨٨٠) والترمذى (٢٠٣٢).

آذته بالحرب^(١)، وقد قال بعض السلف: إن لم يكونوا العلماء أولياء الله فلا أدرى من هم أولياؤه^(٢).

وصدق رحمه الله، فإن ولاية الله إنما تناول بحسب قيام العبد بأوامر الله تعالى، والأهل العلم من هذا أكبر نصيب، فإنه لا يكاد ينال العبد طرفاً من العلم يصير فيه رئيساً حتى يجتهد ويجد ويمضي عليه زمن طويل وهو متجرد لطلب العلم تاركاً لما عليه أهل الدنيا مستغرقاً لأكثر أوقاته وأشرف ساعاته بالاشغال بالعلم الذي هو بنفسه أجل الطاعات، وهم أحرى بولاية الله من غيرهم! فكيف يمكن بالقلح فيهم من غلبت عليهم الشقاوة وأفني زمانه بالقيل والقال ولم يضرب مع الصالحين بسهم من نفائس الأعمال، فلا تراه باحثاً عن أمر دينه ولا مجالساً للعلماء على وجه الاستفادة منهم؛ بل لو سئل عن أدنى مسألة من أمر دينه لم ينطق بنت شفته، ومع هذا

(١) آخر جه البخاري (٦٥٠٢) وابن ماجه (٣٩٨٩).

(٢) قال القاري: هو من كلام أبي حنيفة والشافعى، وأخرجه البيهقى عن الشافعى بلفظ: إن لم تكن الفقهاء أولياء الله في الآخرة فما له ول. انظر: كشف الخفا

فقد أطلق لسانه بثلب العلماء وأهل الدين زاعماً فيما قاله إنه مصيبة؛
نعم قد أصاب طريق أهل الشر، والتحق بالحيوانات الخسيسة التي
ترك الأطعمة الطيبة وتذهب إلى الجيفة ونحوها من الأطعمة
الخسيسة لتركه المحسن وإنما على ما ظنه مساوئ وانحرف عن
طريق أهل الخير فليس بكفؤ أن يذكر معهم^(١)، وإنما يذكر لثلا يفتر
به المعترون ويقع بشبكته الجاهلون، ولعله أن يرتدع ويتب ويفلّع

(١) قال ابن المبارك رحمه الله :-

«حق على العاقل أن لا يستخف بثلاثة: العلماء والسلطان والإخوان، فإنه من استخف بالعلماء ذهبته آخرته، ومن استخف بالسلطان ذهبته دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبته مرؤته» رواه الذهبي في سير أعلام النبلاء

(٢٥١ / ١٧)

وقال ابن عساكر رحمه الله :-

«واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا من يخشأه ويتقىه حق تقائه أن لحوم العلماء رحمة الله عليهم مسمومة وعادة الله في هنك آستار متقصصيم معلومة؛ لأن الحقيقة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتداء مرتوعٌ وخيم والاختلاف على من اختاره الله منهم لنشر العلم خلق ذميم»، انظر: تبيان كذب المفترى (ص: ٢٨).

إلى ربه وينبئ، فليس على طريق التوبة حجاب، ولا ذنب إلا وراءه
مغفرة الملك الوهاب لمن تاب وأناب.



فصل

ومن أعظم ما يجب الاعتناء به على أهل العلم أن لا يجعلوا الاختلاف بينهم في المسائل الدينية التي لا يخرج المخالف فيها إلى البدع أو الشرك سبباً وداعياً إلى التفرق وتشتيت القلوب وموجباً للقدح والطعن بسببيها والموالاة والمعاداة عليها، فإن هذا ظلم وتعدي لا يحل بإجماع المسلمين، فما زال السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم يختلفون في مسائل الدين، ولا ينكر بعضهم على بعض ولا يوجب بعضهم على بعض أن يتبعه وإلا ضللهم^(١). فإن هذه مرتبة لا تصلح إلا للرسل فهم الذين يُضلّل مخالفهم، وأما من

(١) قال ابن تيمية رحمه الله كما في جمجمة الفتاوى (٢٤/٢٤-١٧٢-١٧٣) «كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿إِن تَرَعَمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَّا رُسُولٌ إِن كُثُرُوا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَأَيْمَانَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحَسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] وكانوا ينتظرون في المسألة مناظرة مشابهة ومناصحة، وربما اختلف قوفهم في المسألة العلمية والعملية معبقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين، نعم من خالف الكتاب المستعين، والستة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافاً لا يُعذر فيه، فهذا يعامل بما يعامل أهل البدع».

عداهم^(١) فلم تضمن له العصمة.

ومن رحمة الله بعباده أن جعل اختلاف هذه الأمة رحمة ليثيب المصيب ويعفو عن المخطيء واتفاقهم حجة ونجاة وعصمة.

فالواجب على أهل العلم أن يبذلوا جهدهم بتحري الحق والصواب، وأن لا يضلوا المخالف لهم مثلهم أخطأ أو أصاب^(٢). وهذا في جميع المسائل التي تعارضت فيها أقوال سلف الأمة بحسب ما أدahم إليه اجتهادهم، وذلك مثل من يرى أن الماء لا ينجس إلا بالتغيير بالتجارة لا يجوز له القدح فيمن يرى أن مالم يبلغ قلتين ينجس بمجرد الملاقة وبالعكس، وكذلك من يرى أن الماء المستعمل

(١) في الأصل (عداهم) وفي هامشه (الله عداهم).

(٢) قال ابن تيمية رحمة الله كما في مجموع الفتاوى (١٩/١٢٣): «ومذهب أهل السنة أنه لا إثم على من اجتهد وإن أخطأ»، وقال رحمة الله (٦٩/٣٥): «وأما ما اجتهدوا فيه فتارة يصيرون، وتارة يخطئون، فإذا اجتهدوا فأصابوا فلهم أجران وإذا اجتهدوا وأخطأوا فلهم أجر على اجتهادهم وخطؤهم مغفور لهم، وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين، فتارة يغلبون فيهم ويقولون: إنهم معصومون، وتارة يجفون عنهم ويقولون: إنهم بااغون بالخطأ، وأهل العلم والإيمان لا يعصمون ولا يؤثمون».

في رفع الحديث يصير ظاهراً غير مطهر لا يُضلّل من يراه ظاهراً مطهراً وبالعكس، ولا من يرى أن الصلاة في الشوب النجس تأسياً تعاد على من لا يرى الإعادة وبالعكس، ولا من يرى وجوب صوم ليلة الثلاثاء من شعبان في الغيم على من يرى استحباب الفطر أو إياحته ولا بالعكس، ولا من يبيح فعل التوافل ذوات الأسباب في أوقات النهي على من يمنعها وبالعكس، وأمثال هذه المسائل التي لم ينزل [الخلاف]^(١) فيها بين السلف وإلى الآن، فلا يحمل من يرى أحد القولين فيها أن ينكر على غيره على وجه القدح به، فإن هذا ظلم لا يجوز؛ بل وظيفة أهل العلم في مثل هذه المسائل الخلافية أن يبيتوا ما يرون أنه الصحيح بحسب قدرتهم بالدليل الشرعي الذي هو الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار بالقياس والحكم [وضعف العقل [الخلاف]^(٢) بالدليل الشرعي]^(٣)، وأن يردعوا من جعل هذا الخلاف سُلْطَاناً للاختلاف لأنه بعيد عن الانصاف؛ نعم إن ظهر من أحد من

(١) في الأصل (الخلافات).

(٢) كلمة لم يتضح لي.

(٣) لعل في العبارة سقط، ولم يتضح المعنى لدى.

أهل العلم مخالفة بينة لدليل شرعي صريح، فإنه يجب نصحه، ويُبيّن له الدليل الشرعي بأقرب الطرق، ولا يجعل تأييه أو غيابه في المجالس بدلاً من نصحه، فليست هذه طريقة أهل الانصاف، بل طريقتهم النصيحة سراً وعدم إشاعة الفاحشة^(١).

وبالجملة فالواجب على أهل العلم وغيرهم السعي في معرفة الحق والاجتهد في تنفيذه والعمل به والتعاون على ذلك، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه سواء وافقه أو خالفه، فكما أنه إذا وقع منه خطأ وزلل لم يحب اطلاع أحد عليه بل يحرص على ستر نفسه

(١) قال الشيخ عبدالرحمن السعدي في (الرياض الناصرة) (ص ٩٠): «فإن أهل العلم الحقيقي قصدتهم التعاون على البر والتقوى والسعى في إعانته بعضهم بعضًا في كل ما عاد إلى هذا الأمر وسرّ عورات المسلمين، وعدم إشاعة غلطاتهم والحرص على تنبئهم بكل ما يمكن من الوسائل النافعة والذبّ عن أغراض أهل العلم والدين ولا ريب أنّ هذا من أفضل القرارات ثم لو فرض أنّ ما أخطاؤا فيه أو عثروا ليس لهم فيه تأويل ولا عنذر لم يكن من الحق والإنصاف أن تهدر المحسن وتُمحى حقوقهم الواجبة بهذا الشيء اليسير كها هو دأب أهل البغي والعدوان، فإن هذا ضررٌ كبيرٌ وفسادٌ مستطيرٌ أي عالم لم يخطئ وأي حكيم لم يعثر».

فكذلك ينبع أن ينزل أخاه منه بهذه المزلة، وأن يحمل ما يصدر منه على أحسن محمل، فإن الجزاء من جنس العمل، فمن كان عمله مع إخوانه هكذا ستر الله عليه بأسباب يعلمها وأسباب لا يعلمها ستراً لا يحصل لمن لم يكن بهذه المثابة، فكما تدين تدان جزاءً وفaca^(١) فسائل

(١) وللمؤلف الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمة الله كلاماً في الفتاوى السعدية (٦٣٢ - ٦٣٢) كلام جميل حول الموضوع أنقله هنا لعلاته به وأهميته، قال رحمة الله «ومن أهم ما يتبعن على أهل العلم معلمين أو متعلمين السعي في جمع كلمتهم وتاليف القلوب على ذلك وجسم أسباب الشر والعداوة والبغضاء بينهم، وأن يجعلوا هذا الأمر نصب أعينهم يسعون له بكل طريق لأن المطلوب واحد، والقصد واحد، والمصلحة مشتركة فيحققن هذا الأمر بمحة كل من كان من أهل العلم، ومن له قدم فيه واستغال أو نفع ولا يدعون الأغراض الضارة تلکهم ومتعمهم من هذا المقصود الجليل، فيحب بعضهم بعضاً ويذبّ بعضهم عن بعض، وينذرون النصيحة لمن رأوه منحرفاً عن الآخر، ويرهبون على أن التزاع في الأمور الجزرية التي تدعو إلى ضد المحبة والاختلاف لا تقدم على الأمور الكلية التي فيها جمع الكلمة، ولا يدعون أعداء العلم من العوام وغيرهم يتمكنون من إفساد ذات بينهم وتفريق كلمتهم، فإن في تحقيق هذا المقصود الجليل والقيام به من المنافع ما لا يُعدُّ ولا يُحصى، ولو لم يكن فيه إلا أن هذاؤ الدين الذي حث عليه الشارع بكل طريق، وأعظم من يلزم القيام به أهله، وأنه من

الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه، وأن يصلح أحوال المسلمين ويؤلف بين قلوبهم ويهديهم سبل السلام، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وسلم.

أعظم الأدلة على الإخلاص والتضحية اللذين هما روح الدين، وقطب دائرته...، وفيه أيضاً من تكثير العلم، وتوسيعة الوصول إليه، وتتنوع طرقه ما هو ظاهر، فإن أهل العلم إذا كانت طريقتهم واحدة تكون أن يتعلم بعضهم من بعض، وأن يعلم بعضهم بعضاً، وإذا كان كل طائفة منهم متزوية عن الأخرى، منحرفة عنها انقطعت الفائدة، وحل محلها ضدها من حصول الغضاء والتعصب والتقويش من كل منها عن عيوب الطائفة الأخرى وأغلاطها والتوصل به للقدح وكل هذا منافي للدين والعقل، ولا عليه السلف الصالح حيث يظنه الجاهل من الدين ...».

فائدة مهمة^(١)

اعلم أنه ينبغي للمعلم أن يفتح للمتعلمين باب البحث والمراجعة والانتقاء في المسائل العلمية، فإن في ذلك من المصالح الدينية مالا يدخل تحت الحصر.

فمنها أن ذلك من باب التعاون على البر والتقوى لأن مصالح الدارين لا تتم إلا بالتعاون عليها، فالمسائل العلمية لا تتم إلا بذلك وهي بدونه في غاية النقص.

ومنها أن ذلك يوجب لهم التهذب والتدريب على المعارضة والاستدلال والترجيح والتضييف فت فقد بذلك أفكارهم ويحصل لهم ملكة يقتدون بها على الإيراد والجواب، فبالامتحان تنصلق الأذهان.

ومنها أن في إهمال المعلم لهذا، وجبل المتعلمين على تلقى جميع ما يقوله بالقبول وعدم المعارضة له فيما تحققوا وظنوا أو شكوا فيه فيه غلقاً لباب الفائدة للمعلم والمتعلم.

(١) فائدة ملحقة بالرسالة.

أما المتعلم فظاهر، فإنه إذا لم يعارض ويبحث لم يهتد إلى الصواب إلا في المسائل الواضحة البسيطة، وأما المسائل التي تحتاج إلى تحرير وتقرير وجواب وإيراد فيها عليها مسدود؛ بل ربما أن المتعلم الذي قد تقررت عنده المسألة على صوابها إذا رأى معلمة قد خالف ما عنده ولم تحصل منه المباحثة المذكورة قد يشك فيها علمه أو يعتقد خلاف ما ظنه من الصواب كما هو الواقع.

وهذه الحالة إذا استمر عليها المتعلمون خدت أذهانهم وأفكارهم فيكون الذكي الفطن جامد الذهن خال القرحة، وذلك أن القوة المفكرة إذا لم تستغل بالتفكير والتذكر وإعمالها فيها هي مهيضة له بطل عملها يمتنزلاً بقية الجوارح التي إذا توالي عليها السكون والكسل لم تتفع صاحبها وأسرع إليها الفساد، فإذا أعملت فيها هي مستعدة له تربت وازدادت وترقت على الدوام.

وأما غلقه لباب الفائدة عن المعلم فأظهر وأظهر، فإنه يسد على نفسه أبواباً وطريقاً من الخير قد كان يمكنه تحصيلها بأسهل شيء، فإنه إذا حصلت المباحثة والمراجعة المذكورة بينه وبين المتعلمين لم ي عدم بذلك أن يستفيد منهم على حادثاً أو يتذكر علمًا منسياً أو يتضخم

له ما كان مشكلاً أو يتوقف بسبب ذلك عن قول كان يجزم به على خلاف الصواب.

ومنها أنه يوجب له التيقظ والاحتراز فيما يقوله وينقله، فإنه إذا علم أنه إذا قال قوله أو نقل شيئاً لم يعارض ولم يوقف بوجهه؛ بل يقبل على أيّ وجهٍ كان تساهل في ذلك، فقال ونقل ما اتفق له غير مراعٍ للصواب، فيحصل منه الخطأ والغلط شيءٌ كثير. وإذا علم أنه يعارض تنبه وتحرز وتحرّى في قوله ونقله بحسب قدرته.

ومنها أنه يوجب له كثرة المطالعة والبحث والتقبيل والتنبه لكل ما يخطر بباله أنه سيتكلّم به.

ومنها أنه يتحسين بذلك خلقه، ويصير له ملكة لتحمل ما يرد عليه من الاعتراضات، فإن صاحب المنصب العالي على غير الذي يرد عليه تبعاً له لا يكاد يتحمل من دونه إذا عارضه؛ بل منصبه يوجب له النفرة من الاعتراض عليه من هو مثله أو فوقه؛ فكيف يمكنه دونه فيحاف عليه بسبب ذلك من رد الحق ونصر الباطل الذي يعلم ويغلب هذا السبب ما هو عليه من الديانة كما هو

مشاهد.

ولهذا من أدب المعارض لمن هذه حالة اذا استبان للمعارض أن الصواب معه أن لا يكون ذلك بصورة المعارضه؛ بل بصورة السؤال والاستشاد والتنبيه على الصواب باللطف الطرق التي توجب القبول، فإذا وطن نفسه على حصول المعارضه وعدم الملااة بها بل الحرص عليها، وأوزع^(١) للمتعلمين أن يعارضوه بما يرون أنه معارض لقوله تدرب بذلك وصار له ملكة قوية على ذلك بحيث لا يتأتى بالمعارضة من صغير وكبير؛ بل قد تراه يقول القول في الملااة بما به ثم يظهر له عكس ما جزم به فيديه غير خجل ولا مكرث بل قصده الوصول إلى الحق والنصيحة للخلق، وحذراً حالة توصل العبد إلى هذا الخلق الذي لا يلقاه إلا ذو حظٌ عظيم.

ومنها أنَّ المعلم إذا هدَّب المتعلمين على هذه الطريقة الحسنة أو غيرها من الطرق الحسنة صار سبباً لاستمرار هذه الحال فيمن تعلم منهم وتربي بهم لأنهم يربونه على ما تربوا عليه فيحصل له من الخير

(١) في الأصل (أوزع).

ما لا يعلمه إلا الله .

ومنها أنه يعرف بذلك مراتبهم ودرجاتهم في التحصل
ومعرفة مراتب الناس من أهم الأمور خصوصاً من له التدبير فيهم
فإنه يحتاج، بل يضطر إلى ذلك لأجل عمله فيهم لأنَّ عمله لا يتم إلا
بتزيلهم منازلهم وإعطاء كُلَّ ما يستحقه .

ومنها أنَّ ذلك يوجب الثقة بقوله لأنَّ من وفق لهذه الحالة
وفق للصواب .

وأما من سدَّ على نفسه هذا الباب، فقد حصل على غاية
الحرمان من العلم والعمل والثواب والخطر العظيم بسبب سوء
الخلق الذي يؤثر ما يؤثر وسوء التعليم وقلة النتيجة وعدم النصيحة
التي هي أُسْ التعليم؛ بل أُسْ كل عمل، والإعجاب بالنفس وعدم
الثقة بقوله، وغير ذلك، فنسأله توفيقاً يوفقنا على الصواب
ويصرفنا عن كل شر .

تم الكتاب، والحمد لله على يد معلقه الفقير إلى الله عبد الرحمن
ابن ناصر بن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
اللهم صلِّ على محمد وسلم (٦ جا ١٣٤٣).

الفهرس

٥	تقديم الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل
٧	المقدمة
٩	صورة الصفحة الأولى من الرسالة
١٠	صورة الصفحة الأخيرة من الرسالة
١٣	بداية الرسالة
١٤	من أعظم الأوامر الإلهية
١٦	أعظم النصيحة للمسلمين
١٧	إشارة إلى سيرة الرسول ﷺ مع الخلق
	فصل: في بعض مفاسد الاختلاف والتنازع
٢٢	والتباغض والتهاجر ومضارها
٢٤	فصل: في فوائد اتفاق المسلمين وتحابهم والسعى في ذلك
٢٦	فصل: في السعي في جميع كلمة المسلمين
٣٣	فصل: في عدم جعل الاختلاف في المسائل الدينية سبب للفرقـة
٣٩	فائدة مهمة للمعلمين والمتعلمين
٤٥	الفهرس

صدر للمحقق

- ١ - العقد المنظم في سيرة الشيخ عبدالله بن مسلم التميمي (تأليف).
- ٢ - الشيخ العلامة زيد بن محمد آل سليمان حياته وأثاره (تأليف).
- ٣ - رسالة في أحكام النكاح (١) للشيخ / سعيد بن حجي الحنبلي النجدي (تحقيق).
- ٤ - الكلام المتنقى مما يتعلّق بكلمة التقوى (٢) للشيخ / سعيد بن حجي الحنبلي النجدي (تحقيق).
- ٥ - فصل الجواب عن استحقاق المتأخر فضل الصحابة (٣) للشيخ حسن بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب (تحقيق).
- ٦ - الرسالة الدينية في معنى الإلهية (٤) للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (تحقيق).
- ٧ - فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان (٥) للشيخ / زيد بن محمد آل سليمان (تحقيق).
- ٨ - حقيقة الدعوة النجدية (٦) للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (تحقيق). (ملحقة بالرسالة الدينية).

سيصدر قريباً ... إن شاء الله تعالى

- ١ - علماء وقضاة حوطبة بنى تميم والحرير وقراهما (الجزء الأول) (تأليف).
- ٢ - الكوكب الدرى الجامع لرسائل وسائل الشيخ سعيد بن حجي (٧).

